الباب الرابع

الصيغ الفعلية مع الأدوات

الفصل الأول

الصيغ الفعلية مع أدوات الشرط

* الدلالة الزمنية لأدوات الشرط مع "فعل" و"يفعل".
* دلالتهما على الاستقبال.
* دلالتهما على الزمن العام.
* دلالتهما على الماضي.

الصيغ الفعلية مع ادوات الشرط

اولا : / يفعل/ مع ادوات الشرط

ينصرف المضارع للاستقبال مع أدوات الشرط في مواطن كثيرة وفي أغلب أساليب الشرط، حتى وإن كانت أداة الشرط غير جازمة أو كانت الصيغة فعلا للشرط أو جوابا له.

والشرط يتكون في الغالب من جملتين فعليتين : جملة الشرط، وجملة الجواب والجزاء. وقد ينسجم الفعلان في الصيغة فيكونان ماضيين أو مضارعين، وقد يكون أحدهما ماضيا والآخر مضارعا.

ووجه الكلام وأحسنه عند جمهور النحاة أن يكون فعلا الشرط مضارعين لأن الفعل المضارع أصلح للدلالة على الاستقبال من صيغة /فعل/ وفي ذلك يقول سيبويه : «فإذا قلت/ إن تفعل/ فأحسن الكلام أن يكون الجواب /افعل/ لأنه نظير من الفعل»(1)، وقد جاء فعل الشرط بصيغة الماضي في سور كثيرة في القرآن الكريم، فقد ورد فعل الشرط وجوابه ماضيين 24 مرة، وورد فعل الشرط ماضيا 108 مرة كما ورد جواب الشرط ماضيا في 17 مرة مما يدل على أنّ ورود الشرط بصيغة الماضي عربي فصيح وإن نبذه النحاة.

وقد درس النحاة التركيب الشرطي دراسة مستفيضة من حيث دلالته ووظيفته كما أفردوا لكل أدواته بحوثا واستقصاءات ستفيدنا ونحن ندرس الدلالات الزمنية التي تضيفها هذه الأدوات على الصيغ في القرآن الكريم(2)

---

1 - الكتاب 91/3 وانظر شرح الكافية 25/2.

2 - انظر الصاحبي 438 وانظر معاني القرآن للفراء 6/2 والاتقان 198/2 والمغني والتركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر يوسف المطلبي والشرط في القرآن عبد السلام المسدي ومحمد الهادي الطرابلسي ص15-33.

/يفعل/مع اداة الشرط إن :

يجعل النحاة /إن/ على رأس حروف الشرط لاعتبارات كثيرة، منها : انها لاتحيد عن الشرط في الاستعمال، ومنها أن التركيب الشرطي يطرد بها أكثر من غيرها، حيث إنها استعملت 572 مرة في القرآن من مجموع 1379 مرة استعمل فيها التركيب الشرطي في القرآن(1) وهي الاعتبارات التي جعلت النحاة يعدون أدوات الشرط الأخرى /من، وما/ فروعا من /إن/ الشرطية وتبعا لها. لأنها جميعا تتضمن معنى /إن/ قال سيبيويه : «زغم الخليل أن /إن/ هي أم حروف الجزاء فسألته لما قلت ذلك فقال من قبل أني أرى حروف الجزاء قد يتصرفن منها ما يكون استفهاما، ومنها ما يفارقه فلا يكون فيه الجزاء، وهذه على حال ،احد أبدا لاتفارق المجازاة»(2).

ومن الايات التي جاء فيها /يفعل/ /مع/ إن/ دالا علي الاستقبال قوله تعالى : «فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما»(الفتح16/48)

حيث نجد أن الفعلين المضارعين /تطيعوا/ وتتولوا/ قد انصرفا الى الاستقبال بفضل أداة الشرط /إن/ فهما واقعان في سياق يوحي بذلك وسياق الآية الذي وقع فيه الفعلان هو قوله تعالى في الاية نفسها : «قل للمخلفين من الأعراب ستدعون الى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون» فليس هناك شك في أنّ السين في /ستدعون/ تجعل دعوة المخلفين فيما يستقبل من الزمان وبذلك لن تكون الطاعة المشروطة الا في المستقبل، وكذلك القول في الفعل /تتولوا/ يقول أبوحيان وهو يشرح الآية : «فإن تطعوا : أي فيما تدعون اليه

---

1 - هذه الاحصاءات قام بها مؤلفا كتاب الشرط في القرآن الكريم ونحن في الحقيقة لم نزد على التحقق منها لتأكيدها.

2 - الكتاب 63/3، وانظر الجني الداني في حروف المعاني للحسين بن قاسم المرادي ص208.

كما توليتم من قبل : أي في زمان الخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم في زمن يعذبكم : يحتمل أن يكون في الدنيا وأن يكون في الآخرة»(1) أي فإن تتولوا في مستقبل الزمان كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما في الدنيا أو في الآخرة.

ومنه قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم»(الانفال29/8).

حيث جاء فعل الشرط /تتقوا/ وجواب الشرط /يجعل/ دالين على ما يستقبل من الزمان، فسياق الآية يوحي بأن في الاية وعدا مشروطا للمؤمنين إذا اتقوا وذلك بأن ينصرهم الله ويمنحهم «فضلا ومزية في الدنيا والآخرة»(2) وقال أبوحيان وهو يشرح الآية بما يفيد دلالة الفعلين السابقين على الاستقبال : «والتقوى هنا إن كانت من اتقاء الكبائر، كانت السيئات الصغائر ليتغاير الشرط والجواب وتكفيرها في الدنيا ومغفرتها في الآخرة.... وتغاير الظرفان لئلا يلزم التكرار»(3).

ومنها قوله تعالى : «إن تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما»(التحريم4/66).

حيث جاء فعل الشرط في هذه الآية على صيغة /يفعل/ وللمفسرين في شرحها وأسباب نزولها تفصيلات كثيرة نكتفي بالاحالة اليها، ونجتزئ بما يفيد توجيه الفعل /تتوبا/ الى الاستقبال، إذ معنى /إن تتوبا/ عند المفسرين التوجه من التعاون على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالايذاء. وجواب الشرط محذوف للعلم به تقديره كان خيرا لكما (وكان هنا دالة على الاستقبال

1 - البحر 95/8 والكشاف 53-54.
2 - انظر البحر 486/4 والكشاف 154/2.
3 - البحر 486/4-487.

بمعنى يكون)(1).

ومن الآيات التي جاءت فيها /أن يفعل/ دالة على الاستقبال قوله تعالى : «وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله»(الانفال71/8).

وقوله عز وجل : «وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل»(الانفال71/8).

وقوله تعالى : «قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الاولين»(الانفال38/8).

وقد جاءت /إن يفعل/ في سياق الماضي ودالة عليه في آيات كثيرة من القرآن الكريم على الرغم من أن النحاة يجعلون /إن وما بعدها/ للمستقبل.

ومن ذلك قوله تعالى : «قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل»(يوسف/77 12)

إذ نجد السياق في قصة يوسف عليه السلام يقتضي أن يكون الفعل /يسرق/ للزمن الماضي وليس لغيره، إذ ان اتهام سيدنا يوسف بالسرقة حادثة كانت قد وقعت قبل اللفظ بالفعل /يسرق/ فقد جاءت الآية بعد قوله تعالى : «ثم أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون، قالوا نفقد صراع الملك» الى قوله تعالى : «ثم استخرجها من وعاء اخيه»(يوسف70/12-76).

وهي ايات تبين أن المراد بـ /إن يسرق/ الزمن الماضي لا غير كما تدل على ذلك آية أخرى بعد ذلك وهي قوله تعالى على لسان اخرة سيدنا يوسف : «ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا إن إبنك سرق»(81/12) فمعنى /إن يسرق/ في الآية يقابلها زمانيا معنى /إن كان سرق/(2).

1 - انظر التفسير الكبير للامام الرازي 44/30 وأسباب النزول 327 والكشاف 126/4.
2 - انظر الكشاف 335/2.

ومن الايات التي جاء فيها الفعل المسبوق بأن الشرطية دالا على الماضي قوله تعالى : «الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين»(التوبة40/9) إن /تنصروه/ ههنا جاءت للماضي إشارة الى خروج الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى الكدينة. يقول أبوحيان وهو يشرح الآية «الا تنصروه، فيه انتقاء النصر بأي طريق كان الى أن يقول ومعنى إخراج الذين كفروا إياه فعلهم به ما يؤدي الى الخروج والاشارة الى خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة»(1).

ومنه قوله تعالى : «وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود»(الحج42/22).

وقوله عز وجل : «إن يرووا آية يعرضوا ويقولا سحر مستمر»(القمر2/54).

وقوله تعالى : «وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة»(المنافقون4/63) كما جاءت "إن يفعل" دالة على الزمن العام في أكثر الاساليب الشرطية في القرآن من ذلك قوله تعالى : «كمثل جنة بربوة أصابها وابل فأتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل»(البقرة265/2).

حيث نجد أن الفعل /يصبها/ لا ينصرف الى زمن محدد وإنما هو زمن عام يستمر من الماضي الى المستقبل لأنه تعالى مثل بأجر يحدث في كل زمان وهو إصابة الجنة بالمطر. فمن اخرج صدقة لوجه الله تعالى لا يضيع كسبه قليلا أو كثيرا.

ومنه قوله تعالى : «وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا رادا لفضله»(يونس117/10)

إذ وقع الفعلان /يمسسك ويردك/ في زمن عام غير محدد لأن مس عباده

---

1 - البحر المحيط 42/5-43.

بالضر أو بالخير أمر يقع في كل وقت، أي أنه لا راد لما يريده منهما ولا مزيل لما يصيبه منهما»(1).

ومنه قوله تعالى : «وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك»(النساء78/4).

وقوله تعالى : «إن تصبك حسنة تسوؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون»(التوبة50/9).

ونحو قوله تعالى : «ان تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا»(النساء149/4).

/من يفعل/

جاءت /من يفعل/ الشرطية في القرآن دالة على جميع الأزمنة وإن كانت الدلالة الغالبة هي الدلالة على الزمن العام. فمن دلالتها على الاستقبال قوله تعالى : «ياأيها الذين آمنوا من يرتدد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين»(المائدة54/5).

التركيب /من يرتدد/ ينصرف الى ما يستقبل من الزمن وهذا حسب الرازي الذي أورده المفسرون للآية فقد قالوا : إن معنى الآية «يأيها الذين آمنوا من يتول منكم الكفار فيرتد عن دينه فليعلم أن الله تعالى يأت بقوم آخرين ينصرون هذا الدين على أبلغ الوجوه»(2).

وقالوا «علم الله أن قوما يرجعون عن الاسلام بعد موت نبيهم فأخبر أنه سيأتي بقوم يحبهم ويحبونه. وهم أبو بكر وأصحابه لأنهم هم الذين قاتلوا أهل

---

1 - الكشاف 256/2.

2 - التفسير الكبير للامام الرازي 18/12-19.

الردة»(1) وعلى هذا التقرير تكون هذه الآية إخبار عن الغيب»(2).

فالفعل /يرتدد/ المسبوقة بـ /من/ الشرطية يدل على المستقبل وهذا حسب القرينة والسياق، أما القرينة فهي الحرف /فسوف/، واما السياق فهو المعنى الزمني الذي شرحه المفسرون. ومنه قوله تعالى : «إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لايموت فيها ولا يحي ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى»(طه74/20) وهذا الفعل /يأت/ المسبوق /بـ/من/ الشرطية جاء دالا على المستقبل البعيد زمن الدار الآخرة(3).

ومنه قوله تعالى : «ومن يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك هو الفوز المبين»(الأنعام16/6).

/من يفعل/ والدلالة على الزمن العام :

لاحظنا ونحن ندرس /من يفعل/ أن دلالتها الزمنية في القرآن تنصرف غالبا الى الزمن العام أو ما هو في حكمه مثل الاحكام والحكم، والصفات العامة للمخلوقات من ذلك قوله تعالى : «ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا»(النساء52/4).

اللعنة ههنا تنصرف الى من استحقها ماضيا وحاضرا ومستقبلا فالمعنى عند المفسرين «من يلعنه الله فلا ناصر له»(4)، واضح من هذا الشرح وسياق الآية أن الفعل المضارع /يلعن/ لا ينصرف الى المستقبل وحده لأن ذلك يقتضي أن تكون النصرة للملعونين قبل نزول الآية وهو محال.

ومن ذلك قوله تعالى : «ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه

1 - التفسير الكبير للامام الرازي 12/18-19.
2 - (م، ن، س)
3 - انظر البحر المحيط 262/6.
4 - التفسير الكبير للامام الرازي 128/10.

الطير»(الحج31/22) إذ نجد أن الفعل /يشرك/ يمتد زمانه في كل الاتجاهات الماضية والحاضرة والمستقبلية لأن /من/ الشرطية التي سبقته تفيد عموم الزمان كما تفيد عموم المكان «فكأنه قال : من أشرك بالله فقد أهلك نفسه هلاكا ليس بعده نهاية، بأن صور حاله بحال من خر من السماء فاختطفته الطير»(1).

ومن الآيات التي جاءت فيها /من يفعل/ دالة على الزمان العام قوله تعالى: «ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدوابوكثر من الناس ، وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء»(الحج18/22) ومنه كذلك قوله تعالى : «ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب»(الحج/32 22).

ومنه كذلك قوله تعالى : «ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون»(البقرة229/20).

وقوله عز وجل : «ومن يوت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا»(البقرة269/2).

وقوله تعالى : «فمن يضلل الله فلن تجد له سبيلا»(النساء88/4).

وقوله سبحانه وتعالى : «ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما»(النساء110/4).

وقوله تعالى : «ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا»(النساء19/4).

وقوله : «ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا»(المائدة41/5).

---

1 - الكشاف 12/3.

وقوله : «إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار»(المائدة/72/5). وقوله تعالى أيضا : «قال أنا يوسف وهذا أخي قد منّ الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لايضيع أجر المحسنين»(يوسف90/12).

وقد جاءت /من يفعل/ في بعض الآيات دالة على ما مضى من الزمان من ذلك قوله تعالى : «من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون»(إذ نجد أن الفعل /يحكم/ تتجاذبه دلالتان مختلفتان في الاتجاه الزمني : /من/ التي تصرف الفعل الى المستقبل و /لم/ التي تقلب الفعل المضارع دائما الى الماضي، ويبدوا أن الغلبة الزمنية كانت في هذه الآية لـ /لم/ وهذا حسب سياق الآية وملابسات نزولها، يقول الامام الفخر الرازي : «المقصود من هذا الكلام تهديد اليهود في اقدامهم على تحريف حكم الله تعالى في حد الزاني المحصن أي أنهم لما انكروا حكم الله المنصوص عليه في التوراة، وقالوا انه غير واجب، فهم كافرون على الاطلاق لايستحقون اسم الايمان، لابموسى والتوراة ولا بمحمد والقرآن(1). وقد قال آخرون «ومن لم يحكم من هؤلاء الذين سبق ذكرهم (أي الربانيون والاحبار) بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون»(2) أي زمن /يحكم/ في الآية -حسب هذا الشرح- ينصرف الى الماضي القريب.

على أن هناك رأيا يجعل زمن /يحكم/ عاما لأن /من/ تدل على العموم(3) وعلى أية حال فان التركيب /من يحكم/ في الآية فيه معنى المضي أكثر من الحاضر والمستقبل.

ومنه قوله تعالى : «ولاتكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم»(النور33/24).

1 - انظر التفسير الكبير للامام الرازي 5/12.
2 - نفسه.
3 - نفسه.

لقد نزلت هذه الآية في حق فتيات بعد أن تشكت اثنتان منهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يسمى عبدالله بن أبي رأس كان يكرههن على البغاء(1). وجاء في أسباب النزول «كانت معاذة جارية لعبدالله ابن أبي وكانت مسلمة وكان يستنكرههنا على البغاء، فأنزل الله تعالى لاتكرهوا فتياتكم على البغاء»(2)، فالفعل /يكرههن/ المسبوق بأداة الشرط /من/ ينصرف الى زمن ماض وهو الزمن الذي وقعت فيه حادثة شكوى الفتيات الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصبح المعنى الزمني لـ/من يكرههن/ /من أجرههن/ أي /أن يكرههن/ مضارع لفظا ماض معنى، وإن سبقته احدى أدوات الشرط /من/، وكما جاءت /من يفعل/ في سياق سردي قصصي دال على الزمن الماضي وذلك في قوله تعالى : «وقال المسيح يابني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار»(المائدة72/5).

فقد جاء التركيب /من يشرك/ واقعا في حيز الماضي ويمكن لنا القول إنه جاء دالا على مستقبل الماضي على نحو يبينه الشكل :

الماضي البعيد	المستقبل القريب	الحاضر	المستقبل
قال المسيح | من يشرك | بالله			
| مستقبل الماضي			

/لو يفعل/

لاحظنا ونحن ندرس /لو/ في القرآن الكريم أن أغلب الاماكن المستعملة

1 - الكشاف 66/3.

2 - انظر الروايات المختلفة التي جاءت في كتاب أسباب النزول لأبي الحسن النيسابوري 245-246

فيها كانت بمعنى /إن/ الشرطية، أو بمعنى /أن/ المصدرية، ومعلوم أن النحاة يقسمون /لو/ من حيث وظيفتها ودلالتها الزمنية الى قسمين قسم يقتضي فعلا ممتنع لامتناع ويصرف المضارع الى المضي بعكس /إن/ الشرطية. ومن ذلك قول كثير عزة :

لويسمعون كما سمعت حديثها خروا لعزة ركعا وسجودا

أي لو سمعوا.

وقسم آخر يأتي بمعنى /إن/ الشرطية أو /أن/ المصدرية وهاتان لا يليهما إلاّ فعل صريح يفيد المستقبل(1)

ومن الآيات التي جاءت فيها دالة على المستقبل قوله تعالى : «ومن الذين اشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة»(البقرة96/2) و /لو/ هنا جاءت بمعنى /أن/ المصدرية كأنه قال : يود أحدهم أن يعمر ألف سنة. و /أن/ لا تأتي بعد المضارع إلا للدلالة على المستقبل. ثم إن سياق الآية يفرض أن تكون يود للاستقبال فقد جاءت الآية في سياق تمن بعيد المدى الزمني، اذ المراد بألف سنة التكثير وتطويل مدى عيشهم في الدنيا(2).

ومنه قوله تعالى : «يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه»(المعارج11/70).

فالفعل /يفتدي/ المسبوق بـ /لو/ يدل على المستقبل لأن معنى /لو/ ههنا كمعنى /أن/ أي يود المجرم أن يفتدي، لأن الآية تتحدث عن مستقبل بعيد هو يوم القيامة الذي ينطلق منه الفعل /يفتدي/ إذ معنى الآية عند المفسرين أن

---

1 - انظر الجني الداني في حروف المعاني للمرادي 272-290.
والاتقان للسيوطي 174/1.
2 - انظر التفسير الكبير للامام الرازي 192/3.

المجرم يتمنى يومئذ لوكان هؤلاء جميعا تحت يده (بنيه وصاحبتيه وأخيه) وبذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات أن ينجيه(1).

والرسم التالي يبين الموقع الزمني للفعل /يفتدي/

الماضـــي	الحاضـــر	المستقبـــل	المستقبل البعيد	المستقبـــل
			يومئـــــذ (يوم القيامة)	لو يفتدي (انطلاق الفعل من المستقبل)

وقد وجدنا أن /لو/ الامتناعية تفيد الاستقبال كذلك على الرغم من أن النحاة يخصون هذه بالزمن الماضي لا غير من ذلك قوله تعالى : «لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا هم ينظرون» اذ تتحدث الآية عن قدوم يوم القيامة وهو مستقبل بعيد كما يدل على ذلك سياق الآية وهو قوله تعالى : «ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين».

وقد شرح المفسرون /لو يعلم/ بما يفيد أن هذا التركيب للمستقبل البعيد قال الزمخشري وهو يشرح الآية : «أي لو يعلمون الوقت الذي عنه بقولهم متى هذا الوعد -هو وقت صعب شديد تحيط بهم النار فيه. من وراء وقدام فلا يقدرون على دفعها ومنعها من أنفسهم ولايجدون ناصر ينصرهم لما كانوا بملك الصنعة من الكفر والاستهزاء»(2).

ومن الآيات التي جاءت فيها /لويفعل/ دالة على الزمن الماضي قوله تعالى: «الله نور السماوات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح

1 - التفسير الكبير للامام الرازي 126/30.
2 - التفسير الكبير للامام الرازي 182/29.

في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولاغربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار»(النور35/24).

فالتركيب /لو لم تمسسه/ جاء مكونا من /لو/ الامتناعية التي قال عنها النحاة إنها تقلب معنى المضارع الى المضي، و /لم/ التي تدل دائما على قلب زمن المضارع الى المضي فالتركيب /لو لم تمسسه/ دال في مجمله على ما مضى من الزمن إذ معنى الآية الزمني : يكاد زيتها يضيء على الرغم من انها لم تمسسها نار من قبل. ومنهاكذلك قوله تعالى : «أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما ما فظلتم تفكهون إنا لمغرفون بل نحن محرمون، أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون»(الواقعة53/65-70).

فقد جاءت /لونشاء/ للزمن الماضي وهذا ما فسره صاحب التفسير الكبير حيث يقول وهو يشرح هذه الآية «كلمة /لو/ مختصة بالدخول على الماضي معنى، فإنها إن دخلت على المستقبل جعلته ماضيا...» الى أن يقول «... ويقويه (أي ويقوى كونه ماضيا) انه تعالى يقول جعلناه أجاجا عن طريقة الإخبار.... وذلك لأنّ /لو/ إذا دخلت على فعل مستقبل كما في قوله /لو نشاء/ قد أخرجت عن حيزها لفظا لأنّ /لو/ للماضي»(1). فـ /لونشاء/ في الآية جاءت مصروفة للزمن الماضي بفضل السياق الذي وردت فيه.

كما جاءت /لو يفعل/ دالة على الزمن العام الذي يشمل كل المراحل الزمنية من ذلك قوله تعالى : «ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقشي إليهم أجلهم»(يونس10/11).

لأنّ قوله تعالى للناس (و /ال/ههنا للجنس) يدل على أن الفعل /يعجل/ ينصرف الى كل الناس في جميع الأزمنة وعلى الرغم من أن الآية نزلت في أهل

1 - التفسير الكبير للرازي 29/182

مكة(1) جاءت بمثابة الحكم العام الذي يصلح لكل الناس ولكل زمان ومكان....

ومنه كذلك قوله تعالى : «ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة»(النحل16/61).

/ما + يفعل/ :

جاء هذا التركيب في القرآن دالا على الزمن العام (الزمن غير المحدد بماض أو حاضر أو مستقبل) ولذلك سماها ابن هشام /غير زمانية/(2)

في نحو قوله تعالى : «ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها»(البقرة2/106) أي أن الفعل الذي يليها لا يتحدد بزمان.

وقد أفاض المفسرون في شرح هذه الآية مما لايفيد المعنى الزمني الذي نريد بحثه بالشيء الكثير ولكننا مع ذلك نستأنس بشروحهم تلك، لتأكيد الدلالة الزمنية العامة للفعل /نسخ/ في الآية إذ معنى الآية عندهم كلما أردنا أن نبدل من حكم آية نأت بخير منها وأنفع لكم(3).

ومن ذلك قوله تعالى : «وما تفعلوا من خير يعمله الله»(البقرة2/197).

وقوله عز وجل : «وما تنفقوا من خير لأنفسكم»(البقرة2/272).

وقولـه : «وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله»(المزمل73/20).

---

1 - الكشاف 227/2.

2 - المغني 302/1 وانظر الاتقان للسيوطي 175/1.

3 - انظر البحر لأبي حيان 342/1-344.

/إما + يفعل/

الزائدة، أو الموصلة(1) وتأتي في القرآن غالبا للدلالة على الزمن المستقبل مثل /ان/، ومن ذلك قوله تعالى : «فإمّا يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون»(البقرة2/38)

وقوله تعالى : «إما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين»(الأنعام6/68).

وقوله تعالى : «وإما ينزعنك من الشيطان نزع فاستعذ بالله»(الأعراف/200 7).

وقوله عز وجل : «إما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء»(الأنفال8/48).

«وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب».

اينما + يفعل

يفككها النحاة الى /أين/ الاستفهامية التي يستفهم بها عن المكان و /ما/ الزائدة أما دلالتها الوظيفية فانها تكون شرطا لمكان ما.

نحو : أينما تجلس اجلس(2) أي أنها تدل على عموم المكان مما يفضي الى دلالتها على عموم الزمان.

من ذلك قوله تعالى : «ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله»(البقرة2/115). إذ جاء الفعل /تولوا/ بعد /أينما/ دالا على الزمن

---

1 - انظر الجني الداني في حروف المعاني للمرادي 535-536.

2 - الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس 142.

العام.

والآية جاءت بمثابة الحكم العام الذي يشمل كل زمان ومكان يقول صاحب التفسير الكبير في شرح الاية (أينما تولوا فثم وجه الله) مشعرا بالتخيير والتخيير لا يثبت إلاّ في صورتين أحدهما في التطوع على الراحلة وثانيهما في السفر عند تعذر الاجتهاد للظلمة، أو لغيرها» الى أن يقول «وحمل الكلام على هذا الوجه (لأنه يعم كل مصل»(1) وإذا كان الكلام يعم كل مصل، فإنه يشمل كل الأزمنة يصبح زمن /أينما تولوا/ زمنا عاما.

ومن ذلك قوله تعالى : «فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا»(البقرة148/2).

وقوله عز وجل : «وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم»(النحل76/16).

/أياما + يفعل/

وردت /أياما/ + يفعل في القرآن الكريم مرة واحدة وهي مركبة من /أي/ الشرطية/ و /ما/ الظرفية وذلك في قوله تعالى : «أياما تدعو فله الأسماء الحسنى». حيث دلت على الزمن العام.

ثانيا : فعل وأدوات الشرط

يكاد يطرد اقتران /فعل/ في القرآن الكريم بكل أدوات الشرط (يستثنى من هذه الأدوات /مهما/ التي وردت مرة واحدة في القرآن الكريم مع /يفعل/ ومن الأدوات التي وردت معها /فعل/ بكثرة /إن/ الشرطية إلاّ أن الدلالة الزمنية لـ /فعل/ لا تتأثر بصيغتها بقدر ما تخضع للأبعاد الزمنية التي

1 – التفسير الكبير للامام الرازي 19/4.

تضفيها عليها /إن/ الشرطية أولا، والسياق الذي تتحرك فيه الجملة ثانيا.

ومن دلالات **/إن فعل/** على الاستقبال في القرآن الكريم قوله تعالى : «وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم»(آل عمران144/3).

إذ ليس يخفى أن /إن مات/ في الآية للاستقبال. فقد نزلت في يوم احد يوم أن اعتقد الناس أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد أصيب، ومعنى الآية كما يوضح المفسرون : اتنقلبون على أعقابكم إن مات محمد في يوم من الأيام وقد علمتم أنه رسول سيخلو كما خلت من قبله الرسل، وكما أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم أن تتمسكا بدينكم بعد خلوه.(1)

فالتركيب /إن مات/ لا يمكن أن ينصرف إلاّ الى الاستقبال.

ومنه قوله تعالى : «قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلاّ قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا»(الأحزاب16/33).

إذ نجد أن التركيب /إن فررتم/ و /إن أراد/ مصروفين الى الاستقبال بفضل القرائن والسياق الذي وردت فيه، فالآية مصدرة بـ /لن/ الدالة على المستقبل أبدا ثم إن قوله تعالى (من ذا الذي يعصمكم من الله) جملة تساير الاتجاه الاستقبالي للآية.

قال الزمخشري : «لن ينفعكم الفرار.... مما لابد لكم من نزوله بكم من حتف أنف، أو قتل وإن نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير، لم يكن ذلك التمتيع إلا زمنا قليلا»(2) وهو شرح يصرف الفعلين /إن فررتم/ و /إن

1 - الكشاف 467/1-468 وانظر التفسير الكبير للامام الرازي 20/9-21.
2 - الكشاف 254/3.

أراد/ الى المستقبل.

ومن الايات التي جاءت فيها /إن فعل/ دالة على المستقبل قوله تعالى : «فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق»(البقرة137/2).

وقوله تعالى : «وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلاّ أن يعفون أو يعفوا الذي بيده عقد النكاح»(البقرة/237 2).

وقوله تعالى : «فإن خفتم فرجالا أو ركبانا»(البقرة329/2).

وقوله سبحانه تعالى : «ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون»(آل عمران158/3).

وقوله تعالى «فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله»(النساء59/4).

وقوله تعالى : «وقال الله إني معكم لئن اقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلس وعززتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار»(المائدة12/5).

وعلى الرغم من أن النحاة متفقون على أن /إن/ الشرطية تصرف /فعل/ و /يفعل/ الى المستقبل فقد جاءت آيات كثيرة لا ينصرف فيها الفعل الماضي الى المستقبل على الرغم من كونه مسبوقا بـ /إن/ الشرطية.

ومن ذلك قوله : «أم يقولون افتراه قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا»(الاحقاف8/64).

فالتركيب /إن افتريته/ ينصرف الى الماضي والدليل على ذلك قوله تعالى:

«ام يقولون افتراه» إذ جاءت /افتراه/ ماضية لفظا ومعنى وجاءت بعد ذلك عبارة قل إن افتريته /جوابا للاستفهام ومسويا له في الصيغة والزمن.

يقول المفسرون وهم يشرحون الآية «قل إن افتريته على سبيل الفرض فالله حسبي في ذلك وهو الذي يعاقبني على الافتراء عليه...»(1).

ومنه قوله تعالى : «ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب»(التوبة/65 9).

إذ يتبين في شرح المفسرين أن الفعل /سَأل/ جاء للماضي على الرغم من اقترانه بـ /إن الشرطية التي تصرف الفعل الى الاستقبال غالبا ذلك أن السياق جاء يوحي بأن النبي صلى الله عليه وسلم وقع منه حدث السؤال في زمن ماض ومنقض إذا نزلت الآية في غزوة تبوك وفيما يقول المفسرون -وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس من المنافقين إذ قالوا : يرجو هذا الرجل أن يفتتح قصور الشام وحصونها هيهات له ذلك فأطلع الله نبيه على ذلك فقال نبي الله : اجلسوا على الركب فاتاهم فقال : قلتم كذا وكذا فقالوا يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب فأنزل الله تعالى هذه الآية(2).

ويرى بعضهم أن /إن/ قد جاءت للمضي في قوله تعالى : «فذكر إن نفعت الذكرى»(الاعلى9/87).

لأنّ معنى /إن نفعت/ في الآية قد نفعت ولكن /إن/ هنا لا يصح فيها الشرط لأنها تضمنت معنى الفعل (3).

---

1 - البحر المحيط لأبي حيان 56/8.
2 - أسباب النزول 188.
3 - الاتقان 155/1.

إن + فعل والدلالة على الزمن العام

من الآيات التي جاءت فيها /إن فعل/ دالة على الزمن العام قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين»(الحجرات6/49). لأن التركيب /إن جاء/ جاء للدلالة على الزمن العام على الرغم من أنّ المفسرين يقولون إن سبب نزول الآية هو تيب الوليد بن عقبة بعد أن بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم. أي أنّ /إن جاءكم/ لا تدل فقط على الزمن الماضي أو زمن الحادثة التي نزلت من أجلها الآية ولكنها تمتد من الزمن الماضي الى الزمن المستقبل يقول الزمخشري : «وفهي تنكير الفاسق والنبأ شاع في الفساق والانباء كأنه قال : أي فاسق جاءكم بأي نبأ فتوقفوا فيه واطلبوا بيان الأمر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق، لأنّ من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه...»(1) فالآية جاءت بمثابة الحكم العام على الفاسق في كل زمان وبما أن الفعل /جاء/ قد زسند إليه فانه يستمد دلالته الزمنية من الآية ومن ذلك قوله تعالى : «لايسأم الانسان من دعاء الخير وإنّ مسّه الشر فيئوس قنوط ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسسته ليقولنّ هذا لي»(فصلت41/48-49).

التركيبان /إن مسه الشر/ و /لئن أذقناه رحمة منا/ يمتدان في الزمن ولاتحدهما مرحلة زمنية لأن الآية كلها جاءت وصفا لسمة من سمات الانسان الخفيف الايمان أو الكافر. ويقول الزمخشري : «القنوط أن يظهر عليه أثر اليأس فيتضاءل وينكسر أي يقطع الرجاء.... وهذه صفة الكافر بدليل قوله تعالى «إنه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون»(2) ومن البدهي أن

---

1 - الكشاف 3/559-560.

2 - الكشاف 3/457.

يسحب عمومية زمن الآية على التركيبين /إن مسه الشر/ و /إن أذقناه من رحمتنا/ ومن الآيات التي جاء فيها /إن فعل/ دالا على الزمن العام قوله تعالى : «وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله»(الحجرات9/49).

ومن ذلك قوله تعالى : «فقل أرأيتم إن أصبح ماأكم غورا فمن يأتيكم بماء معين»(الواقعة30/67).

ومنه قوله تعالى : «ووصينا الانسان بوالديه حسنا وإن جاهداك على أن تشرك بي بما ليس لك بع علم فلا تطعهما»(لقمان14/31)

من الشرطية + فعل

على الرغم من أن النحاة يجعلون /من/ الشرطية دالة على الاستقبال مع الفعل /فعل، يفعل/ فإننا نجد أن الدلالة الغالبة لـ /من فعل/ في القرآن الكريم هي الزمن العام، ولا تتضح دلالتها على المستقبل إلاّ في ايات معدودة من ذلك قوله تعالى «فمن زحزح على النار وأدخل الجنة فقد فاز»(آل عمران185/3).

إذ من الواضح أن الفعل /زحزح/ ينصرف الى المستقبل البعيد، هو زمن الدار الآخرة. وقد جاء الفعل /زحزح/ تشبيها على أن الانسان حينما كان في الدنيا كأنه كان في النار وما ذاك إلاّ لكثرة آفاتها، وشدة بلياتها، وقال عليه الصلاة والسلام : (من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليؤت الى الناس ما يجب أن يؤتى آليه)(1).

ومن ذلك قوله تعالى : «فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرأون كتابهم»(الإسراء71/17).

---

1 - التفسير الكبير للامام الرازي 126/9.

حيث يوحي السياق الذي وردت فيه الآية أن زمن /أوتي/ زمن لا يمكن إلاّ أن يدل على المستقبل، فقد جاءت /من أوتي/ بعد قوله تعالى : «(يوم تدعو كل أناس بإمامهم...) وورد بعد ذلك قوله تعالى : «ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا». وقد رأينا ما مر في هذه الدراسة أن المراد بـ /اليوم/ يوم القيامة أو الدار الآخرة أي أنّ /من أوتي/ جاء للدلالة على المستقبل البعيد وهي الدلالة التي يمكن أن نستوحيها من شروح المفسرين للآية حيث يقول أبوحيان : «...وفي قوله أوتي كتابه بيمينه، وقراءتهم كتبهم هو على سبيل التلذذ بالاطلاع على ما تضمنتها من البشارة وإلاّ فقد علموا من حيث إيتاؤهم إياها باليمين أنهم من أهل السعادة»(1).

ومن الآيات التي جاءت فيها /من فعل/ واضحة الدلالة علي المستقبل قوله تعالى : «فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون»(المؤمنون23/102-103).

ومن الايات التي جاءت فيها /من فعل/ دالة على مستقبل الماضي قوله تعالى : «من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا»(المائدة5/32).

والشكل التالي يبين الموقع الزمني الحقيقي للتركيب /من قتل/

الماضي	الحاضر	المستقبل
كتبنا على بني اسرائيل		
من قتل نفسا		

مستقبل الماضي

1 - انظر على سبيل المثال الكشاف 459/2، وانظر البحر المحيط لأبي حيان 62/6.

كما وردت /من فعل/ دالة على ماض المستقبل في قوله تعالى : «قالوا ربنا من قدم لنا فزده عذابا ضعفا في النار»(ص63/38).

الآية جاءت في سياق استقبالي تدل على بعض مشاهد عذاب الآخرة وقالوا هذا من قبيل الأفعال الماضية لفظا المستقبلية معنى(1) والشكل التالي يبين الدلالة الزمنية للتركيب /من قدم/ :

الماضي	الحاضر	المستقبل القريب	المستقبل البعيد
ماضي	المستقبل		قالوا ربنا
من قدم	لنا هذا		

/من/ والدلالة على الزمن العام

وجدنا ونحن نتابع الدلالات الزمنية لبنية /من فعل/ في القرآن الكريم انها جاءت في أغلب الآيات دالة على الزمن العام. إذ غالبا ما تأتي بمثابة الحكم العام الذي يستغرق جميع الأزمنة، ماضيها، وحاضرها، ومستقبلها من ذلك قوله تعالى : «من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون»(الروم44/30)، فالحكم على الكافر والمؤمن في الآية حكم عام يشمل كل المؤمنين والكفرة في جميع الأزمنة والأمكنة، أي في الحياة الدنيا كلها. وللمفسرين شروح لهذه الاية نستشف منها هذا المعنى الزمني الذي بيناه. يقول الزمخشري وهو يشرح الآية (/فعليه كفره/، كلمة جامعة لما غاية وراءه من المضار لأن من كان ضاره كفره فقد أحاطت به كل مضرة»(2) ويقول في سياق شرحه لـ /لأنفسهم يمهدون/ «يسوون لأنفسهم ما يسويه لنفسه الذي يمهد فراشه

1 - انظر الكشاف 381/3.
2 - نفسه 224.

ويواطئه كي لا يصيبه في مضجعه ما ينبيه عليه»(1).

ومن دلالات /من فعل/ على الزمن العام في القرآن الكريم قوله تعالى : «من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيا وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا»(الاسراء17/18-19).

حيث إن /من أراد/ جاءت في الآية للدلالة على الزمن العام ولا تختص بزمن معين بحيث يدخل في هذا الحكم كل من أراد الآخرة مهما كان الزمن الذي عاش فيه. وهو ما يستوحي من شرح المفسرين للآية، فقد شرحوا الآية بقوله صلى الله عليه وسلم «فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر إليه».

ومن الآيات التي جاء فيها /من فعل/ دالة على الزمن العام قوله تعالى : «ومن ضل فإنما يضل عليها»(الاسراء15/17).

وقوله تعالى : «ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى»(طه124/20).

ونحو قوله تعالى : «ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون»(النور/55 24).

ومنه قوله تعالى : «فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين»(النمل92/27).

---

1 - نفسه، وانظر البحر المحيط 177/7.

وقوله عز وجل : «أفمن حق عليه العذاب أفأنت تنقذ من في النار»(الزمر/19 39).

وقوله تعالى : «أفمن يشرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه»(الزمر22/39)

وقوله تعالى : «قال هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر، ومن شكر فإنما يشكر لنفسه»(النمل40/27).

لو الشرطية + فعل

رأينا أنّ /لو/ حرف شرط في المضي يصرف المضارع إليه(1) ونضيف في هذا المقام ما قاله النحاة من أنها تقتضي فعلا ماضيا كان يتوقع ثبوته لثبوت غيره(2) ومؤدى ما قاله النحاة في زمن /لو/ أنها لاتدل إلاّ على الماضي سواء دخلت على /يفعل/ أم اقترنت بـ /فعل/ إلاّ أنها ونحن نرصد دلالتها الزمنية في القرآن الكريم مع الفعلين المذكورين وجدنا أنها تدل على غير الماضي فتأتي دالة علي الاستقبال تارة وعلى الزمن العام تارة أخرى. فمن دلالتها على الاستقبال قوله تعالى : «إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به»(آل عمران91/3).

إن التركيب /ولو افتدى/ جاء دالا على المستقبل البعيد، وذلك أن هذه الاية سبقت بـ /لن/ الدالة دائما على المستقبل، وأن سياق الاية وشرح المفسرين لها يجعلانها خالصة للاستقبال. يقول صاحب التفسير الكبير في شرح /لو افتدى/ «لو تقرب الى الله بملء الأرض ذهبا لم ينفعه ذلك مع كفره، ولو افتدى من العذاب بملء الأرض ذهبا لم يقبل منه(...) من المعلوم أن الكافر لايملك يوم القيامة نقيرا ولا قطميرا، ومعلوم أن بتقدير أن يملك فلا ينفع الذهب

1 - الاتقان 173/1.

2 - نفسه وانظر الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي 272-287.

البتة في الدار الآخرة»(1) أي أن الدلالة الزمنية للتركيب /لو افتدى/ لا يمكن أن تكون إلاّ للاستقبال.

ومن الايات التي جاءت فيها /لو + فعل/ دالة على المستقبل قوله تعالى : «ولن تغنى عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت»(الانفال19/8) لأن لو كثرت ههنا جاءت في سياق دال على الاستقبال، وذلك في قوله تعالى : (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد) معنى الآية : اتعودوا لمحاربته (مستقبلا) نعد لنصرته ولن تغني عنكم كثرتكم في هذه الحال»(2) وبهذا تكون /لو كثرت/ دالة على المستقبل من جهتين :

إحداهما : أنها جاءت في سياق يصرف الكلام الى المستقبل.

وإحداهما الأخرى : أنها جاءت مسبوقة بـ /لن/ الخاصة بالاستقبال.

وهكذا نجد أن /لو/ لا تكتفي بصرف الفعل المضارع الى الزمن الماضي كما ذهب النحاة، بل انها تقلب معنى الفعل الماضي الى المستقبل كما رأينا.

/لو فعل/ دالة على الزمن الماضي

وهي الدلالة الزمنية الغالبة التي يطرد ورودها في القرآن الكريم ولعل هذه الظاهرة هي التي جعلت النحاة يخصون /لو/ بالمضي فقط ومن الايات التي جاءت فيه /لو/ دالة على الزمن الماضي قوله تعالى : «تلك الرسل فضلنا على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اختلف الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا»(البقرة253/2).

---

1 - التفسير الكبير للامام الرازي 132/7.
2 - البحر 479/4.

ولسنا في حاجة الى التدليل على مضي /لوشاء/ التي تكررت مرتين في الآية إذ جاء الفعل في سياق سرد قصصي يروي أخبار الأمم السابقة ومعنى /لو/ في الآية «لو شاء الله أن لا يقتتلوا لم يقتتلوا»(1) أي لوشاء الله في ذلك الزمن الا يقتتلوا لم يقتتلوا....ولكن اختلفوا فاقتتلوا... فلو شاء في الآية جاءت للدلالة على الماضي لفظا ومعنى. ومن ذلك قوله تعالى : «لو اطلعت عليهم لو ليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا»(الكهف18/18). إذ أن /لو اطلعت/ هنا في سياق سرد أخبار أصحاب الكهف. أي لو اطلعت عليهم في ذلك الوقت لو ليت منهم فرارا. ويرى المفسرون أنّ /باسط ذراعيه/في الآية جاءا لحكاية حال ماضية(2).

ومن الايات التي جاءت فيها /لو فعل/ دالة على الماضي قوله تعالى : «ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم»(آل عمران110/3).

وقوله سبحانه وتعالى : «الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا»(آل عمران168/3).

وقوله تعالى : «ولو أنزلناه ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون»(الأنعام8/6-9).

وقوله تعالى : «ولو شاء الله ما أشركوا»(والأنعام107/6).

وقوله سبحانه : «قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي»(الاعراف/155 7).

ومنه قوله تعالى : «لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم»(الأنفال63/8).

---

1 - التفسير الكبير للامام الرازي 205/6.

2 - انظر الكشاف 475/2-476، والبحر المحيط لأبي حيان 109/6.

وقوله تعالى : «قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا»(الكهف77/18).

وقوله عز وجل : «قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم»(الزخرف20/43).

وكثيرا ما تأتي /لو فعل/ للدلالة على الزمن العام الذي لايمكن أن يتحدد بمرحلة معينة وإنما يمكن له أن يتحدد في أي وقت ويمكن أن يكون قد حدث في أي وقت كذلك. من ذلك قوله تعالى : «ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض»(الشورى27/42) إذ لا خلاف في أنّ /لوبسط/ ههنا جاءت لجميع الأزمنة وقد وردت في سياق يوحي بأنها بمثابة الحكم العام الذي يشمل جميع العباد في كل الأزمنة والدليل على ذلك قوله تعالى بعد ذلك /ولكن ينزل بقدر ما يشاء/ ويشرح صاحب الكشاف هذه الآية بما يوحي أنها أنها حكم عام صالح لكل زمان يقول : «لاشبهة في أنّ البغي مع الفقر أقل، ومع البسط أكثر وأغلب، وكلاهما سبب ظاهر للاقدام على البغي والإحجام عنه، فلو عم البسط لغلب البغي حتى ينقلب الأمر الى عكس ما عليه الآن»(1).

ومنه كذلك قوله تعالى : «إنّ الذين حقت عليهم كلمات ربك لايؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم»(يونس10/96-97).

فمن شأن الكفار في كل زمان الايؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم وثبت عليهم قوله تعالى الذي كتبه في اللوح وأخبر به الملائكة أنهم يموتون كفارا فلا يكونون غيره»(2). فزمن /لوجاء/ في الآية زمن عام لاينصرف الى الماضي وحده ولا الى المستقبل وحده.

وقد جاءت /لوفعل/ دالة على الزمن العام في آيات كثيرة منها قوله تعالى: «لو أراد الله أن يتخذ ولدا لا صطفى مما يخلق ما يشاء»(الزمر/4 39).

1 - الكشاف 469/3.
2 - الكشاف 253/2.

ومنها قوله تعالى : «ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا»(الفرقان51/25).

وقوله عز وجل : «ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا»(الفرقان45/25).

وقوله عز وجل : «ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون»(يونس82/10).

ومنه قوله تعالى : «لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم»(المائدة48/5).

وقوله تعالى : «ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم»(البقرة221/2).

وقوله تعالى : «ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها»(السجدة13/23)

إذا + فعل

يذهب أغلب النحاة الى أن /إذا/ الشرطية تكون ظرفا لما يستقبل من الزمان(1) وسنرى ونحن نرصد بنية /إذا فعل/ في القرآن الكريم أن أغلب الآيات التي جاءت فيها /إذ الشرطية/ جاءت دالة على المستقبل غير أننا وجدنا أن هناك آيات جاءت فيها إذا /لغير الاستقبال وكل الآيات التي جاءت فيها إذا الشرطية مع الفعل جاءت متلوة بالفعل الماضي /فعل/ ولم تقترن بالفعل المضارع /يفعل/ إلاّ في مرة واحدة هي قوله تعالى : «وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا أجتبيتها»(الأعراف203/97) ومن دلالات /إذا فعل/ على المستقبل قوله تعالى : «إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة»(الواقعة1/56).

1 – انظر الجنى الداني في حروف المعاني 380/367 وانظر الاتقان 148/1.

إذا الشرطية في الآية قلبت معنى الفعل الى الاستقبال البعيد. إذ ينصرف الفعل الى زمن يوم القيامة. قال الزمخشري : «/وقعت الواقعة/ كقولك كانت الكائنة، وحدثت الحادثة والمراد يوم القيامة وصفت بالوقوع لأنها تقع لا محالة(1) أما جواب إذا فهو محذوف تقديره رذا وقعت كان كيت وكيت(2) ومن ذلك قوله تعالى : «فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة»(الحاقة13/69).

قال المفسرون وهم يشرحون الآية : المراد بالنفخة الواحدة النفخة الأولى لأن عندها يحصل فساد العالم»(3).

أي أنّ هذه النفخة تكون يوم القيامة مما يعني أن الفعل /نفخ/ المسبوق بـ /إذا/ قد انصرف للدلالة على المستقبل وإن بلفظ الماضي.

وقد جاءت /إذا فعل/ دالة على الاستقبال في ايات كثيرة منها قوله تعالى : «وإذا رأيت الذين يخوضون في اياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره»(الانعام68/6).

ومنه قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات»(المجادلة58/11-12).

إذا في الماضي :

رأينا قبل قليل أنّ /إذا/ تستعمل للزمن الماضي في بعض الآيات من القرآن الكريم وقد تفطن بعض النحاة الى هذه الدلالة الزمنية الآخرى لـ /إذا/ في

1- الكشاف 51/4.

2 - نفسه.

3 - انظر التفسير الكبير للامام الرازي 107/30 والكشاف 151/4.

القرآن الكريم مثل قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا -غزى لو كانوا- عندنا ما ماتوا وما قتلوا»(آل عمران156/3).

ومثل قوله تعالى : «ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه»(التوبة91/9).

إذ من الواضح أن الايات جاءت في سياق الماضي وأن القول في الاية الأولى والثانية كان في الزمن الماضي فكأن /رذا/ الاستقبالية غالبا جاءت بمعنى /إذا/ الدالة على الماضي غالبا(1).

وقد تردد المفسرون في تحديد زمن /إذا/ في قوله تعالى : «ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط»(يونس47/10).

إذ وجدوا أن معناها الزمني يتجاذبه الماضي والمستقبل وهذا على حسب توجيه الآية فاما أن تكون الآية إخبارا عن حالة ماضية فيكون ذلك في الدنيا ويكون المعنى أنه بعث الى كل أمة رسولا فكذبوه فقضى بينهم وأنجى الرسول وعذب المكذبين. وإما أن يكون على حالة مستقبلية، أي فإذا جاء رسولهم يوم القيامة للشهادة عليهم قضي عليهم(2).

إفادة /إذا + فعل/الزمن) العام

وجد أنّ /إذا/ لا تكتفي بإفادة الماضي أو المستقبل، وإنما تفيد بالاضافة الى ذلك الزمن المستمر العام، يقول السيوطي : «تستعمل /إذا/ للاستمرار في الأحوال الماضية والحاضرة والمستقبلية كما يستعمل الفعل المضارع لذلك منها قوله تعالى : «وإذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى»(النساء142/4).

---

1 - انظر المغني 87/1 وما بعدها.
2 - البحر 164/5.

وهناك ايات كثيرة أفادت فيها /إذا + فعل/ استمرار الزمن وتكراره من ذلك قوله تعالى : «والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا»(الفرقان25/67-72).

ومنه كذلك قوله تعالى : «وإذا مس الانسان ضر دعاربّه منيبا إليه ثم إذا خوله نعمة ومنه نسي ما كان يدعوا إليه من قبل»(الزمر39/8).

ومنه قوله تعالى : «وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر للذين من دونه اذا هم يستبشرون»(الزمر39/45).

يلاحظ في كل هذه الآيات أنّ /إذا فعل/ خرجت عن أصلها في إفادة ما يستقبل من الزمان، وأفادت عموم الزمن واستمراره وهو ما أشار إليه المفسرون.

ما الشرطية + فعل

تفيد /ما الشرطية + فعل/ الزمن العام كما أفادته مع /يفعل/ كما رأينا وذلك نحو قوله تعالى : «ما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه»(البقرة2/270).

إذ إن عمومية زمن /ما أنفقتم/ لا تخفى على عاقل فالله عالم بنفقته على عباده في كل مكان وفي كل زمان يقول الرازي في تفسير /فإن الله يعلمه/ وعلى اختصاره يفيد الوعد العظيم للمطيعين (أي لكل المطيعين في أي زمان و /ال/ هنا جنسية) والوعد الشديد للمتمردين(1).

وقوله تعالى: «وما أو تيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها»(القصص28/60).

1 - التفسير الكبير للفخر الرازي 7/69.

وقوله عز وجل : «وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله»(الشورى/10 42).

وقوله تعالى : «وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا»(الحشر/7 59).

أنّى الشرطية + فعل

وذلك في قوله تعالى : «نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم»(البقرة223/2).

أفاض المفسرون في شرح هذه الاية واختلفوا في أحكامها الفقهية اختلافا كبيرا غير أن ما يهمنا في كل ذلك هي الدلالة الزمنية لـ /أنّى شئتم/ فقد وجدنا أن بعضهم يفسرها بـ /أي وقت شئتم من أوقات الحل : يعني اذا لم تكن أجنبية، أو محرمة، أو صائمة، أو حائضا(1) لأنّ «أنّى تأتي بمعنى متى(2).

فزمن /أنى شئم/ زمن عام لا يتحدد بفترة معينة، إذ جاء التركيب في سياق حكم عام لجميع المؤمنين في كل الأزمنة.

1 - انظر م س 75/6 والبحر المحيط لابي حيان 72/2-17.
2 - التفسير الكبير 75/6.

هذا جدول يبين الدلالات الزمنية لـ/يفعل/ مع أداة الشرط وكيفية توزعها وتنوعها في القرآن الكريم.

التركيب	مجموع الصيغ مع الأداة	الماضي	مستقبل الماضي	المستقبل	الزمن العام
إن يفعل	76	8	4	46	18
من يفعل	72	7	0	43	22
لو يفعل	16	6	0	10	0
ما يفعل	13	0	0	0	13
إما يفعل	14	0	0	14	0
أينما يفعل	4	0	0	0	4
إذا يفعل	1	1	0	0	0
أني يفعل	2	0	0	0	2
		النسبة	المئوية		
إن يفعل		105	5,2	60,5	23,6
من يفعل		9,7	0	59,7	30,5
لو يفعل		37,5	0	62,5	0
ما يفعل		0	0	0	100
أما يفعل		0	0	100	0
أينما يفعل		0	0	0	100
اذا يفعل		100	0	0	0
اني يفعل		0	0	0	100

جدول دلالات /فعل/ونسب ترددها.

التركيب	مجموع الصيغ مع الأداة	الماضي	مستقبل الماضي	المستقبل	الزمن العام
إن فعل	131	14	3	101	13
من فعل	102	2	1	80	19
لو فعل	46	16	0	13	17
اذا فعل	101	10	0	61	36
ما فعل	0	0	0	0	14
أينما فعل	1	0	0	0	1
أني فعل	1	0	0	0	1
		النسبـــة	المئويـــة		
إن فعل		10,68	2,29	77	9,9
من فعل		1,9	0,9	18,43	18,6
لو فعل		33,78	0	28,26	36,95
اذا فعل		09,90	0	60,39	35,6
ما فعل		0	0	0	100
أينما فعل		0	0	0	100
اني فعل		0	0	0	100

عند دراستنا لهذين الجدولين نجد أن أدوات الشرط تدل على جميع المراحل الزمنية مع الصيغ المختلفة على الرغم من أنّ النحاة يجمعون على صرف الصيغة الفعلية الى الاستقبال. غير أن الدلالة الغالبة لهذه الأدوات هي الزمن العام والمستقبل خصوصا مع /إن/و/من/و/إذا/ فقد رأينا مثلا أن النحاة

حددوا زمن /إذا/ بالاستقبال، فإذا هي تدل في القرآن على الزمن الماضي والزمن العام وهكذا نجد أن النسبة المئوية لأدوات الشرط الدالة على الاستقبال لاتقل عن 60٪ وأن نسبة دلالتها على الزمن العام تتراوح بين الصفر في المائة و 100٪.